عزيزتى «أكتوبر» عمرها أربع سنوات !!

انيس منصور

محمود عبد المنعم مراد

هذه المجلة – أكتوبر – مضت على صدورها أربع سنوات ، وهى فى حساب أعمار الصحف والمجلات لا تعدو أن تكون فترة الولادة ، لا فترة الحضانة وتعلم المشى والكلام . ومع ذلك فقد ولدت هذه المجلة ، تمشى وتتكلم وتصيح ، وكأنها فى عنفوان الشباب .

وإذا كانت اليوم تحتفل بعيدها الخامس ، فإنها تقف وسط زميلاتها اللاتى تحتفل بالعيد الخمسين أو المائتين ، شامخة وطيدة الأركان رافعة الرأس ، تسعد بتقدير قرائها فى كل مكان من العالم العربى .

ومجلة أكتوبر نتيجة من نتائج حرب أكتوبر العظيمة . إنها وليدة عصر جديد ، عصر النصر والثقة بالنفس ، عصر البناء والسلام والعلم والعمل . ولذلك اتخذت اسمها من اسم الشهر المجيد ، واستطاعت أن تعبر عن هذا التطور الكبير فى تاريخنا الحديث . فجاءت مجلة جديدة فى كل شىء ، فى شكلها ومضمونها ، فى ورقها الملون المصقول ، وفى معانى كلماتها ، وفى توبيما واخراجها واحتوائها لكل ما يهم القارىء الجديد ، فى عصر ما بعد النصر الكبير .

وكم أسفت لأنى لم أشارك فى الاحتفال بمولد عددها الأول ، وبعد عامين أو أكثر من صدورها ، دعانى الزميل العزيز أنيس منصور ، إلى الكتابة فيها ، ودهشت من هذا العرض ، فقد كنت قد توقفت عن الكتابة فى الصحف والمجلات أكثر من عشرين عاما ، فهل تمكنى أن أستأنف العمل بعد كل هذه الفترة من التوقف ؟ وأصر الزميل على أن أحاول ، وحاولت ومضيت فى الطريق ، وأحسست بلذة المشاركة فى عمل ناجح نافع ، وفى كل صباح ، عندما أكون فى طريق من منزلى الى مكان عملى ، أمر فوق كوبرى ٦ أكتوبر ، وأرى أمام ناظرى كلمة أكتوبر ، عالية زاهية فوق مبنى دار المعارف ، فاحس بأن حرب أكتوبر قد ولدت أكثر من وليد شامخ ، هذا الكوبرى وهذه المجلة ، وعشرات من الأعمال الكبرى ، والأبنية الضخمة والأنفاق ، والمشروعات التى تغير حياتنا وتعبر بنا من عصر التخلف إلى عصر الحضارة المعاصرة والتطلع الى المستقبل الزاهر .

وأنا أكتب من خارج مبناها ، ولكنى أشعر أنها هى فى داخلى ، وأنها جزء منى ، كما أنى جزء منها ، وقد مضيت قرابة عامين وأنا أكتب فيها كل أسبوع ، ولم أنقطع الا مرات نادرة ، رغما عنى ، لظروف قاهرة ، وأحس أنى بدأت معها حياة جديدة ، وأوقن بأنها ستمضى فى الطريق وتكبر ويزداد نورها بهاء ، لأنها مجلة أصيلة تجمع بين الجد والمتعة ، ولا تقلد ولا تحاكى ، بل تعبر عن ذاتها تعبيرا صادقا مخلصا .

ولست أريد أن أطيل فى الحديث عما حققته «أكتوبر» من انجازات رائعة خلال هذه السنوات القليلة ، فانجازها يدركون ما تذلله من جهد فى سبيل الفوز بالسبق الصحفى ، والأحاديث الهامة التى تنالها وكالات الأنباء والصحف ودور الاذاعة فى العالم كله ، انها ولدت لتعيش وتبقى وتتفوق ، وسيظل اسمها فى كل الأذهان ، مثلما يظل نصر أكتوبر العظيم ، يضيىء فى صفحات التاريخ على مدى السنين والأجيال القادمة .

تحية وتهنئة وشكرا لأكتوبر ، ولقرائها الأعزاء ، فى مستهل عامها الخامس

المقاومة مستمرة

كنت بين وبين نفسى أعتقد أن المشكلة الأفغانية فى طريقها الى النسيان ، تحت وطأة الأمر الواقع .

فاستاء مصر – وبدون مجاملة – لا أجد حماسة مستمرة من قبل المجتمع الدولى عامة ، والمجموعة الاسلامية خاصة ، لمساندة الشعب الأفغانى فى محاولاته للخلاص من الاحتلال السوفيتى . فقد طال الاحتلال ، والروس بطائراتهم ومدافعهم ودباباتهم يتصرفون على هواهم دون رحمة ، ويقتلون الناس بالجملة والقطاعى ، ولكن فجأة وبغير توقع ، ارتفع صوت أفغانى وسط الاحباط واللا مبالاة ، يصرخ قائلا إن الشعب الأفغانى لايزال يقاوم .

وكان ذلك الصوت ، هو الخطاب الذى ألقاه رئيس الوفد الأفغانى فى المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو الدولية المنعقد فى بلجراد ، وأمام أكثر من مائة وخمسين وفدا حضروا المؤتمر من جميع أنحاء العالم ، قام المندوب الأفغانى يلقى خطابه .

فإذا به يهاجم حكومة كارميل العميلة ، ويهاجم الاحتلال السوفيتى ، ويقول إن الروس يقتلون النساء والأطفال ، وإن تسعين فى المائة من الشعب الأفغانى يعادى حكومته ومن ورائها المحتل الروسى ، وذهل الحاضرون جميعا ، وتناقلت الاذاعات العالمية ووكالات الأنباء هذا الخاطب ، والحق أنه يستحق الاهتمام والتنويه به والوقوف عنده .

والمندوب الأفغانى الحربى الذى فعل هذا ، ترك زوجته وسبعة من أطفاله يعيشون فى كابول ، ولقد فكر فى بادىء الأمر أن يعود إلى وطنه بعد القاء خطابه ويواجه العقاب الذى سيحل به كيفما كان ، ولكنه أدرك أن مصيره الموت لا محالة ، فسافر إلى ألمانيا الغربية ، طالبا حق اللجوء السياسى بها ، متمنيا أن تتمكن أسرته من مغادرة افغانستان ، واللحاق به فى منفاه ، وان كان ذلك أمرا غير محتمل

وتلك الحادث أنه جدد الاهتمام بالمشكلة الأفغانية ، ونبه الأسماع الى صوت ينادى المجتمع الدولى قائلا ، وإذا كانت أفغانستان هى الآن الضحية ، فإن سكوتكم عليها سوف يجعلكم تقعون ضحايا أخرى دولة بعد دولة ، ومن شأن المناضلين أن يحفزوا همم الآخرين لمساعدتهم ومساندتهم ، ولا يمكن للعالم أن يساعد شعبا لا يريد هو أن يدفع بعض الثمن ، والواضح أن الأفغان يدفعون الكثير ، ولهذا فهم يستحقون الكثير من المساعدة أيضا .

ويجب ألا تمر أزمة أفغانستان دون عواقب ، يجب أن يظل العالم يقظا بعيون مفتوحة ، لأن الخطر سوف يهدد الجميع ، اذا ما عمد الجميع الى الاستسلام للأمر الواقع

الرهائن وحرب الخليج

ان ايران التى تنزف الدماء منذ أكثر من شهر ، فى حرب لا تعرف نهايتها ، تجد لديها فسحة من الوقت الطويل تضيعه فى بحث مشكلة الرهائن ، وتضارب الأقوال والتصريحات ويجتمع البرلمان فى جلسة علنية صاخبة ، ثم فى جلسات مغلقة متعاقبة ، ولا أحد يدرى – حتى كتابة هذه السطور – كيف تنتهى هذه المشكلة ، ولايزال الايرانيون يحترون الشروط التى ينفى على الولايات المتحدة أن تقبلها حتى يطلق سراح رهائنهم ، ولايزال الأمريكيون يتأرجحون بين التفاؤل والتشاؤم والأمل فى رجوع الرهائن الى بلادهم قبل اجراء انتخابات الرئاسة ، وحبة الأمل فى ذلك .

ومهما قيل ويقال فى تصرفات زعماء ايران ، فسوف يظل حاكم لغزا غير مفهوم ، انهم يتركون الحرب دائرة على حدودهم مع العراق ، والضحايا يسقطون بالعشرات والمئات ، والقنابل تدوى والسنة النار تشتعل فى المدن والمنشآت ، وهم يتداولون فى موضوع آخر ، كأن كل شىء على ما يرام ، والأمور تسير سيرها العادى فى هدوء كامل .

وهم يطلبون من الولايات المتحدة أن تعتذر ، وأن تتعهد باعادة أموال الشاه السابق ، ويحتم التدخل فى شئون ايران الداخلية ، هذا فى الوقت الذى تنهال عليها فيه قنابل العراقيين الحارقة والقاتلة ، وهم لا يبدون تحركا واضحا ، ولا يعملون وفق خطة مرسومة ، وكل همهم هو اذلال أمريكا ، وخاصة فى هذا الوقت بالذات ، قبيل اجراء الانتخابات ، حيث يكون لعودة الرهائن أثرها الحاسم فى المعركة .

والأمريكيون يصرخون ويشكون لطوب الأرض من حجز رهائنهم الخمسين ، منذ أحد عشر شهرا وكأن حجز خمسين شخصا مسألة لا يمكن احتمالها ولا تصورها ، مع أن أى حادث لطائرة أو لأتوبيس يمكن أن يودى بحياة خمسين

كارتر

صدام حسين

الشاه السابق

يحيى حق

أو ستين أو أكثر . فما بالك برئزال يقتل مئات الألوف . وتبر الحادث مهما بلغت قسوته . الى أن يصل بر النسيان . وكأن شيئا لم يحدث .

قد يقال إن الأمريكيين يقدسون حقوق الانسان . ويقدرون للفرد حقه من الحرية والكرامة . وقد يقال إنهم غاضبون لضياع هيبتهم . ومرمغة كبريائهم في التراب . ولكن مهما يكن ما يقال . فالخطأ واضح في أنهم أقاموا الدنيا وأقعدوها . وجعلوا من هذه المسألة قضية تشغل بال الناس جميعا . فذلك هو الذي أغرى زعماء ايران بمواصلة احتجاز الرهائن . ولو كان رد الفعل الأمريكي يتسم بالهدوء واللا مبالاة . فمن الجائز أن يكون موقف الايرانيين قد تغير .

ويبقى السؤال الذي يتساءله الناس : أهناك صلة بين موضوع الرهائن . والحرب العراقية الايرانية ؟ أنا شخصيا أعتقد أنه لا صلة بين الموضوعين وإن كان صدام حسين يتهم كارتر بمعازلة ايران ومساعدتها بطرح الأفراج عن الرغبا الأمريكيين بينما الخميني يتهم أمريكا بدفع العراق الى غزو أراضيها لاسقاط حكومته واطلاق سراح الرهائن .

والله أعلم بما يجري وراء الأستار . في العراق وايران وأمريكا أيضا .

الحرب وعقوبة الأعدام

وفي الوقت الذي تنتشر فيه الحروب الصغيرة في عدد كبير من أنحاء العالم . وترتكب حوادث الاغتيال السياسي بصورة غير مألوفة في التاريخ كله . في هذا الوقت ترتفع أصوات كثيرة في عدد كبير من الدول . تطالب بالغاء عقوبة الاعدام . مهما تكن الجريمة التي ارتكبت وكان لابد فيها من عقوبة .

والقضية مطروحة منذ أعوام كثيرة . يبحثها رجال الدين والقانون والاجتماع والفلسفة . كما يبحثها الناس العاديون في كل مكان .

ويتساءلون . هل من حق المجتمع أن ينهي حياة انسان خلقه الله . مهما ارتكب من جرائم ؟ وعلى السؤال تتوالى الردود . وبخاصة من رجال الدين الذين يؤمنون بالقصاص . وبأن في القصاص حياة .

وأذكر أني كتبت في هذا الموضوع منذ قرابة ربع قرن من الزمان . وعرضت دعاوى المؤيدين والمعارضين . ولست أريد أن أكرر ذلك . فالأمر متروك للجميع يفكرون فيه على هواهم . ولكن الذي أريد أن أقوله في هذا الصدد . أن الناس الذين يهمهم هذا الموضوع . من كبار المفكرين في دول كثيرة متمدينة . يتحدثون عن مسألة تخص عددا من المجرمين . لا يتجاوز عدد من ينفذ فيهم حكم الاعدام . بضعة آلاف في العالم كله في السنة . بينما تتلو الحروب مئات الألوف . بل الملايين وعشرات الملايين . وتعجز البشرية بكل ما لديها من فكر وحضارة وتقدم علمي . عن أن توحد كلمتها للوقوف ضد الحرب . والقاء جميع الدول بعدم خروج جيوشها الى ما بعد حدودها الاقليمية .

لا ترتفع الأصوات بضرورة الغاء الحروب . فقط ما ترتفع بضرورة الغاء حكم الإعدام . صحيح أنه عقب الحرب العالمية الثانية . كانت السياسة الروسية تهدف الى ترويج شعار « السلام » في العالم كله . وكان الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت يحرك الجماهير في كل مكان وراء هذا الشعار وينشئ اللجان القومية لحركة السلام . يقيم أعياد الشباب في عواصم الكتلة الشرقية يرددون كلمة السلام بجميع اللغات الحية . ولكنها كانت سياسة تستوجبها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث خرجت روسيا محطمة مهشمة . تريد فسحة من الوقت تتنفس فيها . وتبني ما تهدم وتعوض خسائرها . ومن بينها عشرون مليونا من الأنفس . ثم مضت الأعوام من الأربعينات الى الخمسينات والستينات . وأخذت الخراج الروسية تلتئم ووجد الاتحاد السوفيتي أنه وقف على قدميه . فإذا بالشعار القديم الذي رفع لواءه يتوارى . وإذا بسياسة جديدة تظهر على المسرح الدولي . وتتطور مرحلة بعد أخرى . الى أن أصبحت السياسة سافرة لا خلاف ولا جدال حولها . من اقامة القواعد . والأحزمة في مختلف قارات العالم . الى الحيمنة والسيطرة . والغزو السافر !

ولم يعد أحد يتكلم عن السلام . وإن كان كثير من المفكرين والفلاسفة . يتحدثون عن الغاء عقوبة الأعدام . كأنما هي الحل الأخير لمشكلات العالم !

قنديل أم هاشم

كلام كثير نسمعه ونقرؤه عن النص الأدبي . وما يجري له حين يتحول الى فيلم سينمائي أو تلفزيوني . ويسألون الكتاب . فمنهم يرحبون . وبعضهم يرتاب خيال أعمالهم الأدبية . وبطبيعة الحال . ليس هناك وجه للمقارنة بين النص الأدبي المكتوب للقراءة . والرواية السينمائية أو التلفزيونية القائمة على تتابع الصور . فالوسيلتان الفنيتان مختلفتان . وإن كانت احداهما تستند في وجودها على الأخرى .

وقد تصادف أن شاهدت عملا أدبيا تحول الى رواية تلفزيونية . فلم أتمالك نفسي من أن أحزن وتأسى . وقد سبق أن قلت إن الوسيلتين مختلفتان ولا وجه للمقارنة بينهما . ولكن هناك وجها للمقارنة . فيما يتركه كل من العمل الأدبي . والعمل السينمائي في النفس من أثر . وكم كان الفرق كبيرا بين الأثر الذي تركه العمل الأدبي في نفسي . والأثر الذي تركه هذا العمل التلفزيوني الذي بدد متعتي في ليلة من ليالي الأسبوع الأخير .

والعمل الأدبي هو قصة « قنديل أم هاشم » والكاتب هو ذلك الرجل الفنان الخجول المفكر يحيى حق . والقصة مشهورة . تما ترمز اليه وتعالجه من موضوع هام يستطيع أن تقول انه الشرق والغرب . أو الحراقة والعلم . أو الايمان والطب أو غير ذلك . وجزء هام من العمل الأدبي . يدور حول اللفظ أو الأسلوب . وكلمات يحيى حق كذات نفسه . رقيقة حساسة موحية في تواضع واستخفاء . كاتب لا ينادي بأعلى صوته ليسمعه الناس . ولكنه يهمس . فيسمعه عدد أكبر . وأسلوبه أنيق دون تصنع . جميل دون تبرج . رقراق كماء الخدول الصافي . والعمل كله من أروع ما كتب في أدبنا الحديث .

وقد عمد بعضهم إلى تحويل هذه القصة الرائعة الى رواية تلفزيونية . وكانت التجربة فاشلة الى درجة مؤسفة . فليس كل ما يكتب من أعمال أدبية صالحا لأن يمثل على الشاشة الكبيرة أو الصغيرة . وقد وقع المسئولون عن الفكرة هذه القصة في أكثر من مأزق . كان من بينها تلك المشاهد التي تروي فترة تعليم بطل القصة في الخارج . وهل يدور الحوار بالانجليزية أو بالعربية . فجاء الحوار خليطا سخيفا من اللغتين . والمعاني التي يقصدها المؤلف الكبير . واستطاع التعبير عنها برقيق اللفظ والأسلوب المعجز . قصرت عن ابرازها حركات الممثلين والممثلات . ولم تستطع الارتفاع الى مستوى النص الأدبي .

ولا أعرف رأي استاذنا الكبير يحيى حق في هذا العمل التلفزيوني اذا كان قد شاهده . ولئلك تجربة لهم على المشتغلين بالفن السينمائي والتلفزيوني أن يحسنوا اختيار النصوص الأدبية الصالحة للتمثيل . واذا كانت بعض روايات الأستاذ تحيى محفوظ قد كتبت خاصا كثيرا عند اعدادها للمسرح او التلفزيون او السينما . فليس كل ما يكتب من أعمال أدبية يمكن أن يلقى مثل هذا النجاح . وخاصة اذا كانت هذه الأعمال تعتمد على الأسلوب والايحاء والأفكار لا على تتابع الأحداث والأفعال .